

الجيش الأبيض: مقدمة واستعراض

بقلم: جون يونج



Government
of Canada

Gouvernement
du Canada

حقوق الطبع

طبع في سويسرا بواسطة مشروع مسح الأسلحة الصغيرة
مسح الأسلحة الصغيرة - المعهد العالي للدراسات الدولية، جنيف ٢٠٠٦
نشر لأول مرة في تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠٠٦
جميع الحقوق محفوظة. لا يجوز نسخ هذا الإصدار أو تخزينه في أى نظام استرجاع أو نقله - بأى شكل أو بأى وسيلة، دون إذن كتابي مسبق من مسح الأسلحة الصغيرة أو حسبما يصرح به القانون بوضوح أو بموجب الشروط المتفق عليها مع تنظيم حقوق الرسومات البيانية المناسبة. وترسل الاستفسارات الخاصة بالتصوير خارج نطاق ما هو مذكور أعلاه إلى مدير المطبوعات، مسح الأسلحة الصغيرة، على العنوان التالي:

Small Arms Survey

Graduate Institute of International Studies

Avenue Blanc 47

Geneva 1202

Switzerland

هاتف: ٠٠٤١٢٢٩٠٨٥٧٧٧

فاكس: ٠٠٤١٢٢٧٣٢٢٧٣٨

بريد إلكتروني:

smallarm@hei.unige.ch

عنوان الكتروني:

www.smallarmssurvey.org

حرره ايميل لوبرن وكليمر مك إيفوى

إعداد الخرائط: د. نضال سليم

طباعة Nbmedia فى جنيف - سويسرا

رقم الإيداع الدولي 4-1800-8828-2 (ISBN):

أعد الترجمة العربية:

المركز العربى الدولي لخدمات الترجمة

القاهرة - جمهورية مصر العربية

مسح الأسلحة الصغيرة

إن مسح الأسلحة الصغيرة عبارة عن مشروع بحثي مستقل داخل معهد الدراسات العليا للدراسات الدولية فى جنيف - سويسرا. ويعمل كمصدر رئيسى للاستعلامات العامة عن جميع أوجه الأسلحة الصغيرة وكمركز مصدرى للحكومات وصناع السياسة والباحثين والنشطاء.

ويتلقى المشروع، الذى تأسس فى عام ١٩٩٩، المساندة من وزارة الخارجية الفيدرالية السويسرية والمساهمات المستديمة أو الحالية من حكومات بلجيكا وكندا وفنلندا وألمانيا وهولندا والنرويج والسويد والمملكة المتحدة والولايات المتحدة. كما يشعر المشروع بالامتنان للدعم السابق والحالى المخصص للمشروع الذى تلقاه من أستراليا والدنمارك ونيوزيلندا. كما جاء تمويل آخر من برنامج الأمم المتحدة الإنمائى ومعهد الأمم المتحدة لبحوث نزع السلاح وشبكة جنيف الأكاديمية الدولية ومركز جنيف الدولى لإزالة الألغام للأغراض الإنسانية. ويتعاون مشروع مسح الأسلحة الصغيرة مع معاهد لبحوث ومنظمات غير حكومية فى العديد من الدول منها البرازيل وكندا وجورجيا وألمانيا والهند وإسرائيل والأردن وكينيا والنرويج وروسيا الاتحادية وجنوب أفريقيا وسريلانكا والسودان والسويد وتايلاند والمملكة المتحدة والولايات المتحدة.

Small Arms Survey

Graduate Institute of International Studies

Avenue Blanc 47

Geneva 1202

Switzerland

هاتف: ٠٠٤١٢٢٩٠٨٥٧٧٧٧

فاكس: ٠٠٤١٢٢٧٣٢٢٧٣٨

بريد إلكترونى:

smallarm@hei.unige.ch

عنوان الكترونى:

www.smallarmssurvey.org

التقييم الأساسي للأمن البشرى فى السودان (HSBA)

التقييم الأساسي للأمن البشرى فى السودان (HSBA) عبارة عن مشروع بحثى يستغرق عامين (٢٠٠٥-٢٠٠٧) أجراه مشروع مسح الأسلحة الصغيرة (Small Arms Survey). وقد تطور هذا التقييم بالتعاون مع وزارة الخارجية الكندية وبعثة الأمم المتحدة فى السودان وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائى ومجموعة كبيرة من الشركاء من المنظمات غير الحكومية الدولية والسودانية. ومن خلال الإنتاج والتوزيع النشط لبحث تجريبى جاء فى وقته يعمل مشروع التقييم الأساسي للأمن البشرى لدعم نزع السلاح والتسريح وإعادة الاندماج وإصلاح القطاع الأمنى وتدخلات مراقبة الأسلحة لتعزيز الأمن.

ويجرى هذا التقييم مجموعة متعددة التخصصات من متخصصين إقليميين وأمنيين وأخصائى الصحة العامة. ويستعرض التوزيع المكاني للعنف المسلح فى أنحاء السودان ويقدم النصح المتعلق بالسياسة لمعالجة انعدام الأمن.

إن أوراق عمل التقييم الأساسي للأمن البشرى عبارة عن تقارير موضوعية وسهلة الاستخدام حول أنشطة البحث الحالية وتصدر باللغتين الإنجليزية والعربية. وستركز أوراق العمل فى المستقبل على الضحايا والملاحظات الأمنية وتجارة الأسلحة الصغيرة ونقلها إلى داخل السودان وخارجه وكذا ترتيبات الأمن المحلى. كما يصدر سلسلة من ملخصات الإصدارات.

وتلقى ملخصات إصدارات التقييم الأساسي للأمن البشرى وسلسلة أوراق العمل دعماً من وزارة الخارجية والتجارة الدولية فى كندا ومنندى منع الصراعات فى العالم التابع لحكومة المملكة المتحدة.

لمزيد من التفاصيل:

كلير ماك إيفوى

منسق مشروع التقييم الأساسي للأمن البشرى، مشروع Small Arms Survey

البريد الإلكتروني: mcevoy@hei.unige.ch

الموقع على شبكة الإنترنت: www.smallarmssurvey.org (اضغط على رابط السودان)

المحتويات

٧	نبذة عن المؤلف
٨	ملخص
٩	أولاً: مقدمة
١١	ثانياً: المنشأ
١٥	ثالثاً: التنظيم، القيادة، القدرات
١٩	رابعاً: السقوط والانهيـار
٢٣	خامساً: خاتمة
٢٥	الهوامش
٢٦	المراجع

نبذة عن المؤلف

جون يونج أكاديمي كندي وصل إلى السودان للمرة الأولى في عام ١٩٨٦ ليعمل كصحفي لدى صحيفة «سودان تايمز» وأقام هناك لمدة ثلاث سنوات. ثم عاد إلى كندا وأتم دراسته للحصول على درجة الدكتوراة في العلوم السياسية من جامعة سايمون فريزر، حيث يعمل حالياً كمساعد باحث لدى معهد دراسات الحكم.

وقد قضى يونج معظم التسعينيات في إثيوبيا كأستاذ في جامعة أديس أبابا وكان يجرى بحثاً ميدانية في مجالات الفيدرالية العرقية والأحزاب السياسية والحرب الإثيوبية الإريتيرية. ثم عمل مع الوكالة الكندية للتنمية الدولية في أديس أبابا كمستشار حول عملية السلام السودانية. وقد غادر أديس أبابا إلى نيروبي وكلف بالعمل كمستشار للسفير دانيال مبوبيا - مبعوث أمانة الإيجاد للسلام في السودان. وبعد أن تولى منصب رئيس تحليل المعلومات لووكالة أنباء الأمم المتحدة (ايرين) في نيروبي عمل كمراقب مع فريق مراقبة حماية المدنيين في السودان والذي أنشئ مؤخراً. وتلى هذا عمله لمدة سنتين مع لجنة وقف إطلاق النار التابعة للاتحاد الأفريقي.

ومنذ تركه فريق مراقبة حماية المدنيين في تشرين الأول / أكتوبر ٢٠٠٤، أقام يونج في الخرطوم حيث يعمل كمستشار مستقل وجرى بحثاً أكاديمياً في مجالات السلام والأمن والعلاقات الإقليمية. وقد نشر يونج كتاباً واحداً - ثورة الفلاحين في إثيوبيا (مطبوعات جامعة كامبريدج - ١٩٩٧) - ونشر له الكثير من المجالات الأكاديمية. وتناولت معظم إصداراته الأخيرة قوات دفاع جنوب السودان وتحليل لاتفاق السلام الشامل ونظرة على إرث جون قرنق واستعراضا لتداعيات الصراع في شرق السودان على الأمن الإقليمي.

يقوم اقتصاد وثقافة القبائل القاطنة حول نهر النيل في جنوب السودان على الماشية. وحماية هذا المورد النفيس هو الهم الرئيسي للسكان، لاسيما بين الفتيان في معسكرات الماشية. ومع تصاعد حدة الحرب الأهلية في جنوب السودان في مطلع التسعينيات من القرن العشرين، شرع شباب مناطق النوير في حيازة أعداد كبيرة من الأسلحة الصغيرة الحديثة والأسلحة الخفيفة، مما سمح لهم بحماية ممتلكات مجتمعهم المحلي والاستيلاء على الماشية وغيرها من السلع من القبائل المجاورة لهم. وكانت إحدى النتائج الأخرى لحيازتهم للأسلحة هي انخراط هؤلاء الشباب بشكل متزايد في الصراع الأوسع بين القبائل الجنوبية وكذلك الصراع بين الشمال والجنوب. ونتيجة لذلك، تحولت معسكرات الماشية إلى «الجيش الأبيض» الذي كان بشكل عام متحالفا مع حكومة الخرطوم من خلال قوات د. ريك مشار، الذي كان قد انفصل عن الجناح الرئيسي للحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان بزعامة د. جون جارنج في ١٩٩١. وكان التأثير الأكبر لهذه الظاهرة بين قبائل «اللونوير» التي تقطن مناطق وسط أعالي النيل، الذين أدت فرصهم المحدودة للوصول إلى أراضي المراعى إلى إجبارهم على الانتقال بماشيتهم بشكل متواصل إلى أراضي جيرانهم. وعقب توقيع اتفاق السلام الشامل في ٩ كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٥، ظهرت حاجة الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان للقضاء على الجماعات المسلحة المنافسة، مما أدى إلى نشوب صراع للسيطرة على مناطق وسط أعالي النيل استمر منذ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥ حتى آيار/ مايو ٢٠٠٦. وكانت النتيجة تدمير الجيش الأبيض مما أسفر عن خسارة الكثير من الأرواح، وتدمير المجتمع المحلي، وانهيار النظام العام والسلطة التقليدية في مناطق النوير.

فى كل أنحاء جنوب السودان ظهرت الجماعات المسلحة لحماية مجتمعاتهم المحلية، وماشيتهم، وممتلكاتهم. وبشكل نمطى قامت هذه الجماعات على أساس قبلى، واتخذت جانبا دفاعيا، وكانت مؤقتة، وكانت بلا ايدولوجيا أو أهداف بعيدة المدى. كما كان وصول القوات الحكومية لمحاربة متمردي الجنوب عاملا حافزا على تشكيل الجماعات المحلية المسلحة. وفى بعض الحالات اتخذ نهب الماشية على النحو الذى كانت تقوم به الجماعات المسلحة من قبائل «المورل» و«التوبوسا» شكلا لصوصيا، ولكن بشكل عام كانت الجماعات المسلحة فى الجنوب دفاعية أكثر منها هجومية. وكان الاستثناء المفزع هو الجيش الأبيض من قبائل «النوير» فى مناطق وسط وشرق أعالى النيل.^(١) وعلى غرار الجماعات المحلية المسلحة الأخرى، كان الجيش الأبيض يهدف بالأساس إلى الدفاع عن ماشية المجتمع المحلى وممتلكاته. ولكن على النقيض من الجماعات المشابهة فى مناطق أخرى، أصبح أفرادها مشاركين بشكل فعال فى الحرب الأهلية. وبالإضافة إلى ذلك، فبينما ظلت الجماعات المحلية المسلحة الأخرى تحت سيطرة المجتمع المحلى، أصبح الجيش الأبيض قوة مستقلة بشكل متزايد كانت فى بعض الأحيان مدمرة بشدة للمجتمع المحلى الذى نشأت منه.

لقد عملت تلك الجماعة فى ظل الظروف المضطربة للحرب الأهلية فى الجنوب، إلا أن توقيع اتفاق السلام الشامل فى ٩ كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٥، أدى إلى نشأة الظروف التى قادت إلى اختفاء الجيش الأبيض من الوجود.^(٢) فبموجب اتفاق السلام الشامل أصبح للحركة/ الجيش الشعبى لتحرير السودان وضع مهيمن فى الجنوب ولم تكن تقبل بوجود جماعات مسلحة منافسة. وقد أقرت بعض قطاعات الجيش الأبيض، وتحديدا تلك التى كانت لا تزال تخضع لسيطرة المجتمع المحلى، بالواقع الجديد وقامت إما بالانضمام للجيش الشعبى لتحرير السودان أو نزعت سلاحها، بينما حاربت قطاعات أخرى الجيش الشعبى لتحرير السودان واشتبكت فى قتال ضارى انتهى فى أيار/ مايو ٢٠٠٦ فى مناطق النوير بوسط وجنوب ولاية جونجلى.

وليس هناك سوى القليل من الشك بأن قدرة الجيش الأبيض على مواجهة الجيش الشعبى لتحرير السودان قد انتهت، إلا أن بعض الظروف التى أدت إلى ظهور هذه المنظمة لا تزال قائمة حتى اليوم. ومن أجل ضمان عدم ظهور الجيش الأبيض الذى يمثل خطرا على الأمن المدنى مرة أخرى، يجب الوفاء بعدد من الشروط المهمة. فعلى قدر كبير من الأهمية ينبغى أن تنجح عملية الإدماج فى الجيش الشعبى لتحرير السودان للأعداء السابقين من قبيل قوات دفاع جنوب السودان التى تحظى بدعم

القوات المسلحة السودانية،^(٣) بالإضافة إلى إنشاء نظام فعال للحكم المحلى يستجيب لاحتياجات الشباب المدمر والذي يتسم سلوكه بالعنف الذى كان يشكل فى السابق الجيش الأبيض. وبالنظر إلى الدعم السابق الذى قدمته القوات المسلحة السودانية للجيش الأبيض والمساعدات المستمرة التى مازالت تقدمها إلى عناصر قوات دفاع جنوب السودان التى مازالت متحالفة مع الخرطوم، فإن هناك سببا للاعتقاد أنها ستساعد مجددا الجماعات المسلحة التى تظهر لتحدى الحركة/ الجيش الشعبى لتحرير السودان فى المستقبل.

ولم يكن الجيش الأبيض محل تركيز بحوث أكاديمية منشورة على نطاق واسع. وبخلاف تقارير صحفية محدودة، فإن البحث الأكاديمى الشامل الوحيد الذى كُتب عن تلك الجماعة هو دراسة أعدّها أريلد سكيدسمو (Arild Skedsmo) عن الأسلحة الصغيرة فى مجتمع النوير (Skedsmo, 2003). وهذه الدراسة، مثل الدراسة الحالية، تعتمد على العمل الأساسى الذى قامت به شارون هوتشينسون (Sharon Hutchinson)، عن أول سلطة معاصرة لقبائل النوير.^(٤) ونظرا لعدم وجود أدبيات ثانوية، فإن التقرير الحالى يعتمد فى الأساس على استقصاء ميدانى فى مناطق أعالي النيل خلال زيارتين فى شباط/ فبراير - آذار/ مارس وآب/ أغسطس - أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٦.

ثانياً: المنشأ

ليس من السهولة بمكان تحديد تاريخ نشأة الجيش الأبيض. فلا توجد إشارة لدى ايفانز - برتشارد في دراسته القديمة عن «النوير» (Evans - Pritchard, 1940). ولا شارون هوتشنسن، التي قامت ببحثها خلال ثمانينيات القرن العشرين، إلى الجيش الأبيض بالاسم (Hutchinson, 1996). ولكن على الرغم من أن تاريخ نشأته لا يمكن تحديده إلا بوقت متأخر، فإنه يمكن فهم جذوره من خلال المكانة المركزية التي تحظى بها الماشية بين قبائل النوير التي تعتمد على الرعى والأهمية البالغة لمعسكرات الماشية التي يقضى بها فتیان النوير جزء كبيراً من حياتهم. وفي ظل هذه البيئة تشكلت القيم الروحية المعترف بها على نطاق واسع لدى النوير ووجدت طرقاً للتعبير عنها من خلال الفخر بالشجاعة، ومهاجمة قطعان الماشية، والسيطرة على الأراضي الجديدة والقبائل المجاورة. وكان أحد العوامل الأخرى في نشأة الجيش الأبيض، على الأقل في مناطق شرق أعالي النيل، هو قربها من الحدود الإثيوبية، الأمر الذي أدى إلى غياب القانون وانتشار الأعمال اللصوصية على نطاق واسع خلال القرن التاسع عشر وهو ما عجزت قدرات نظام حكم الثورة المهدية (١٨٨١ - ١٨٩٨) وكذلك الحكومة الإمبراطورية في إثيوبيا عن السيطرة عليه.

وكانت الإدارة الاستعمارية البريطانية، التي بدأت مع هزيمة جيش المهديين في سهول أم درمان عام ١٨٩٨، بطيئة في بسط سيطرتها على قبائل النوير. وقد تصاعد عدم الاستقرار في الشرق في السنوات الأولى من القرن العشرين عندما بدأت قبائل «الأنوك» في حيازة الأسلحة الحديثة على طول الحدود مما شجع الطلب على هذه الأسلحة بين جيرانهم من قبائل النوير (Hutchinson, 1996). وهذا بدوره يفسر الانتشار الأكبر للأسلحة في مناطق شرق أعالي النيل عنها في مناطق غرب أعالي النيل حيث لم يظهر الجيش الأبيض. لقد كانت تجارة الأسلحة كبيرة لدرجة أن إنشاء قاعدة بريطانية في مقاطعة «جامبيل» في إثيوبيا، التي تركزت بهدف تنظيم التجارة المتنامية في العاج والماشية وحفظ النظام في مناطق الحدود، لم تتمكن من احتواء تهريب الأسلحة عبر الحدود. إلا أنه وفقاً لم ذكره سكيديسمو، فإن الأسلحة التقليدية كانت لا تزال أكثر أهمية في مجتمع النوير من الأسلحة الحديثة حتى عهد قريب عندما تغير الوضع مع اندلاع الحرب الأهلية الثانية في السودان في عام ١٩٨٣ (Skedsmo, 2003).

لقد ازدهرت الأعمال اللصوصية في المناطق التي لم يكن بها وجود لسلطات الإدارة المركزية. كما وفرت المناطق الخارجة عن سيطرة القانون بيئة ملائمة لظهور الجماعات المتمردة وعملياتها.

وبينما لم تنخرط مناطق أعالي النيل بشكل واضح في الحرب الأهلية الأولى في السودان (١٩٥٥ - ١٩٧٢)، فقد كانت المكان الذي بدأت به أولى عمليات التمرد في أواخر السبعينيات من القرن العشرين التي أدت إلى اندلاع شرارة الحرب الأهلية الثانية.^(٥) لقد كان قرب تلك المناطق من إثيوبيا ودعم نظام الحكم العسكري فيها للحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان يعنى تدفقا متواصلا للأسلحة. ونتيجة لذلك، ففي مخيم «إيتانج» وغيره من مخيمات اللاجئين في منطقة «جامبيل»، كان يجرى تعبئة وتجنيد مواطني جنوب السودان من جانب الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان الذي كان يسيطر بشكل كبير على هذه المخيمات ويوفر الأسلحة التي كان الجيش الإثيوبي يمدده بها.

وكان المحفز الرئيسي للصراع في شرق أعالي النيل، ولتشكيل الجيش الأبيض، هو الانقسام الذي وقع داخل الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان في عام ١٩٩١. حيث انفصل د. ريك مشار الذي ينتمي إلى قبائل النوير من غرب أعالي النيل و د. لام أكول الذي ينتمي إلى قبائل الشلوك من شرق أعالي النيل، عن الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان الذي اعتبره خاضعا لسيطرة قبائل الدنكا، ويعانى استبداد د. جون جارنج، ولا يلتزم بشكل كافي للمطلب الشعبي في قيام مواطني جنوب السودان بتحديد مصير الجنوب (Young, 2003). وتمثلت استجابتهم في الوعد بعهد جديد من الديمقراطية الداخلية والالتزام الواضح بتحديد الجنوبيين لمصيرهم. وبينما كانت هناك أسباب للاعتقاد بأن هذا البرنامج يمثل بشكل أقرب آراء المواطنين العاديين في جنوب السودان من جدول أعمال جارنج، فإن ريك ولام لم تتوافر لهما نفس فرص الحصول على الإمدادات والأسلحة كما كان الحال مع جارنج، حتى مع فقد الأخير قاعدة الإمداد الأساسية له في إثيوبيا عقب سقوط نظام الحكم العسكري فيها.

وعندما لاحت مخاطر الهزيمة العسكرية، تحول ريك ولام بشكل متزايد للحصول على الدعم من القوات المسلحة السودانية، التي كانت حريصة على تشجيع هذه الجماعة المنشقة كوسيلة لإضعاف التمرد في الجنوب. ورغم أنه لم يتم حتى عام ١٩٩٢ توقيع اتفاق سياسي بين ما أصبح يعرف «بجنح ناصر» وحكومة السودان، فإن هناك أسباب تدعو للاعتقاد بأن القوات المسلحة السودانية بدأت إمداد قوات ريك بكميات ضخمة من الأسلحة قبل هذا التاريخ. ولا يُعرف على وجه اليقين العدد الدقيق من الأسلحة التي قدمت، ولكن مصدرا مسئولوا واحدا على الأقل - الفريق كليمنت واني، الحاكم الحالي لولاية وسط الاستوائية والقائد العسكري المحنك - يدعى أن ريك تسلم ما يربو على ١٠ آلاف قطعة سلاح من القوات المسلحة السودانية.^(٦) وتم التخلي عن بعض هذه الأسلحة وبيع البعض الآخر، أساسا لشراء الطعام، إلا أن الأعداد الدقيقة ليست معروفة. إلا أنه من الواضح رغم ذلك، أن المتلقى الرئيسي للأسلحة من السكان المدنيين كانوا شباب معسكرات الماشية. وللوهلة الأولى أعتبرت هذه الأسلحة ضرورية لحماية الماشية الخاصة بالمجتمعات المحلية من الجيش

الشعبى لتحرير السودان، الذى كان يتقدم بشكل متزايد فى المنطقة، ضد الأعداء التقليديين من قبيل سارقى الماشية من قبائل «المورل». كما أجمت تلك الأسلحة الصراعات الداخلية بين قبائل النوير. وبشكل خاص ظهرت تلك الأسلحة فى الصراع بين فرع «لو» من قبائل النوير الذين يسكنون وسط أعالي النيل وفرع «جيكان» من قبائل النوير فى شرق أعالي النيل، خلال الهجرة الموسمية لفرع «لو» مع ماشيتهم إلى أراضى الرعى والمياه على ضفاف نهر «السوبات».

وتلك الفترة هى التى ظهر خلالها الجيش الأبيض ككيان متميز. ويبدو أن الاسم مشتق من المظهر الخارجى لفتيان معسكرات الماشية من النوير، الذين كانوا بشكل شائع يغطون أجسادهم برماد فاتح اللون كوسيلة للحماية من الحشرات.^(٧) إلا أن سكيدسمو (Skedsmo) يشير إلى أن هذا الاسم كان للتمييز بينهم وبين القوات المسلحة السودانية. ولم يتم تحديد العضوية فى الجيش الأبيض بشكل رسمى مطلقا ولكنها كانت تعتمد ببساطة على كون العضو شخص مدنى يمتلك سلاحا حديثا، فى العادة بندقية هجومية (Skedsmo, 2003).

ولكن إذا كان الشاغل الأكبر للجيش الأبيض هو حماية ماشيتهم - وربما استخدام أسلحتهم لسرقة الأبقار من جيرانهم - فإن ريك كان لديه طموح سياسى عسكرى أكبر. وعندما وضع هزيمة جناح «توريت» الموالى لجون جارنج كهدف له، يبدو أنه خلص إلى أن أفضل السبل التى تبشر بالنجاح هى إطلاق العنان لقوات الجيش الأبيض اليانسة لمهاجمة قبائل «البور دنكا». وكانت استراتيجية ريك هى ضرب مناطق القلب للحركة/ الجيش الشعبى لتحرير السودان وإظهار عدم قدرة جارنج على الدفاع عن مجتمعه المحلى نفسه. وبينما لا توجد سوى أسباب قليلة للاعتقاد بأن شباب الجيش الأبيض قد تؤثر فيهم تلك الأهداف العليا، فإنهم يدركون جيدا أن مثل هذه الهجمات على أهداف مدنية بشكل كبير توفر فرصة حيابة ثروة كبيرة من الماشية. ولذلك، فبينما تصدرت القوات المسلحة النظامية التابعة لريك تحت إمرة قادة من قبيل سيمون جاتويش الهجوم،^٨ فقد ساندتها أعداد كبيرة من الجيش الأبيض حديث التشكيل، وكان غالبية أفرادها من قبائل «اللونوير». وكان هؤلاء الشباب جيران لقبائل «البور دنكا» وكانوا بشكل تقليدى يراعون ماشيتهم فى أراضى «البور دنكا» خلال موسم الجفاف. وخلال عقدين من الحرب الأهلية، يبقى الهجوم على مناطق «البور دنكا» واحدا من اثنين من أسد الكوارث الإنسانية التى وقعت خلال الحرب (كانت الكارثة الأخرى المجاعة التى حدثت بشكل متعمد أو بغرض سياسى فى منطقة «واو» فى عام ١٩٨٨). وقد قتل عدة آلاف من الأشخاص خلال هذا الهجوم، جميعهم تقريبا من المدنيين وغالبيتهم من أفراد قبائل «البور دنكا». وتم نهب الممتلكات على نطاق واسع وقتلت مئات آلاف من الماشية أو أخذت إلى الشمال من جانب أفراد قبائل النوير المنتصرين.

لقد عانى جارنج من انتكاسة عسكرية كبيرة، ولكنها لم تكن كافية لهزيمة جناح «توريت». وفى

نفس الوقت كان ذلك يمثل خسارة أكبر حتى من هذا لريك. فبعد هذا الهجوم واسع النطاق على «البور دنكا» فقد ريك القدرة على الادعاء بأنه زعيم الجنوب. ونتيجة لذلك، أصبح جناح «ناصر» يعتمد بشكل متزايد على حكومة السودان، مما أفقده شرعيته في الدفاع عن قضية الجنوب. وحيث إن الجيش الأبيض ليس لديه أي طموح سياسي ولم يظهر أي ندم على دوره في تلك المذبحة، فيمكن الظن بأنه ينظر إلى الهجوم على أنه نجاح. وبالتأكيد فقد زاد ثراء أفراد والمجتمعات المحلية التي ينتمون إليها نتيجة نهب الماشية. ولكن الهجوم رغم ذلك أدى إلى تسميم العلاقات بين القبائل المتجاورة، وأضعف المعارضة ضد الشمال، وترك جرحا عميقا لم يندمل.

ثالثا: التنظيم، والقيادة، والقدرات

كان الجيش الأبيض منظمة مقصورة على النوير تقريبا، يتشكل من أفراد عشائر «اللو» و «الجاوار» من منطقة وسط أعالي النيل، و «الجيكان» في شرق أعالي النيل، وعشيرة «دك» الصغيرة من الدنكا التي كانت أقرب ثقافيا إلى النوير. وتقوم كل مجتمعات النوير المحلية على الدور المركزي للماشية ومعسكرات الماشية، وتحظى القيم العسكرية باحترام كبير من جانب كل أفراد النوير. والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا تشكل الجيش الأبيض بين هذه العشائر تحديدا. أن تلك النقطة في حاجة إلى المزيد من البحث، إلا أنه يمكن التخمين بناء على عدد من العوامل الأكثر احتمالا.

إن حمل الأسلحة من جانب شباب النوير هو أمر شائع جدا في مناطق وسط وشرق أعالي النيل، إلا أنه ليس أمرا غير شائع في الأجزاء الأخرى من مناطق النوير. إن التاريخ الأطول لانتشار الأسلحة وغياب القانون في الأراضي الواقعة على الحدود الإثيوبية هي من العوامل المسؤولة جزئيا عن هذا التفاوت. وأحد الأسباب الأخرى المحتملة، لاسيما في غرب أعالي النيل، هو مقاومة زعماء القبائل لحيارة الشباب للأسلحة على نطاق واسع. ويبدو أن السلطات التقليدية كانت قوية بما يكفي لمنع ظهور الجيش الأبيض على أراضيهم.

وكان من اللافت أيضا أنه على الرغم من أن موطن ريك كان في «ليس» بغرب أعالي النيل، فإنه لم يقيم بتوزيع الأسلحة هناك بنفس الحجم الذي تم توزيعه في شرق وجنوب أعالي النيل. حيث كانت هذه المناطق الأخيرة أقرب إلى مناطق العمق لقبائل «البور دنكا» الموالية للحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان، ولهذا فقد أصبحت تشكل الجبهة الأمامية بين جناح «ناصر» وجناح «توريت» - ومن المحتمل أن ذلك أيضا كان أحد العوامل.

وأحد الأسباب الأخرى المحتملة لحقيقة أن «اللو» و «الجاوار» و «الدك» شكلوا الغالبية العظمى من الجيش الأبيض هو أنهم كانوا يضطرون لاصطحاب ماشيتهم لمناطق أبعد من أجل المراعى والمياه، وقد تكون الضغوط الناتجة عن ذلك قد أدت إلى نشأة حالة ذهنية أكثر عدوانية لديهم. وبالتالي فإن عشائر «اللو» تتميز من بين قبائل النوير لافتقارها خلال موسم الجفاف لأرضى الرعى والمياه.

وعلى الرغم من أن مجتمع النوير يتسم باللامركزية بدرجة كبيرة، فإن الواضح أن الجيش الأبيض كانت لديه القدرة على جمع أعداد كبيرة من الرجال المسلحين، وفي بعض الحالات ذهب أبعد كثيرا

من قراه الأصلية للحصول على الدعم. وكذلك من المعروف أن مجتمع النوير، الذي وصفه بريتشارد بأنه «فوضى منظم»، كان قادرا على استيعاب أراضى شاسعة وعدد كبير من السكان خلال القرن التاسع عشر – حيث يُعتقد أن النوير كانوا في المركز الثاني بعد «الزولوس» فقط في امتلاك الأراضي قبل أن تتمكن الإدارة الاستعمارية البريطانية من احتواءهم (Kelly, 1985). إلا أن الأمر الأكثر استعصاء على الفهم من خلال الأدبيات التاريخية، أو من خلال تجربة الجيش الأبيض، هو كيف تمكن النوير من التغلب على ميلهم للانخراط في الصراعات المحلية للعمل من خلال هياكل محلية وإنشاء منظمة قوية بغرض الدفاع عن النفس وشن الهجمات. إلا أنه توجد رغم ذلك بعض القرائن. فأولا، يبدو أن معظم الأراضي قد تم الاستيلاء عليها نتيجة الغارات المحلية، وكان هناك استعداد لاستيعاب واحترام السكان الذين تم غزوهم. وثانيا، فإن الهجمات الكبرى، مثل التي حدثت في «بور» كان من الواضح أنها تفسر الأمر، وكان يعقبها دائما العودة إلى المنازعات المحلية. وثالثا، فإن الهجمات واسعة النطاق كانت تنظمها وتقودها دائما جماعات مسلحة أخرى أكثر تقليدية. فقد كان الضباط التابعون لريك، وليس قادة الجيش الأبيض، هم من أداروا الهجوم على «البور دنكا» ووفروا الدعم في مجال الإمداد والتموين.^(٩)

ورغم أن هذا التقرير يشير إلى الجيش الأبيض (بصيغة المفرد)، فمن الواضح أنه كانت هناك العديد من «الجيش البيضاء» وأنه في حالات محدودة فقط كانت تشكل وحدات متعددة تحت قيادة واحدة. وفي غياب أي هيكل عسكري مستقل، أصبح معسكر الماشية هو الوحدات المكونة للجيش. وفي الأساس كانت مكونات الجيش الأبيض مرتبطة بشكل وثيق مع المجتمع المحلي ومسئولة أمام السلطات التقليدية الذين كانوا يثمنون دور الشباب في حماية ماشية المجتمع المحلي. إلا أنه بمرور الوقت، انتقلت السلطة من الزعماء إلى شباب الجيش الأبيض. ورغم إقرارهم في الأساس بسلطة الزعماء الأعلى، بدأ الشباب في الاتجاه بشكل متزايد إلى الاستقلال عنهم، وكان يبدو أن ذلك راجعا إلى قدرتهم على حيازة الأسلحة دون الحصول على موافقة الزعماء.^(١٠)

وفي ظل غياب التقاليد أو التعليم كأساس للقيادة، ولأن عددا قليلا جدا من جنود الجيش الأبيض تلقى تدريباً عسكرياً، كان اختيار القادة يتم وفقا لقدرتهم على السيطرة على الشباب غير المنضبط، ومهارتهم في الرماية وشجاعتهم في ساحة القتال. وفي ظل هذا النظام، وفي غياب نظام للرتب العسكرية، فإن القادة العسكريين نادرا ما احتفظوا بمناصبهم لفترة طويلة. ونظرا لأن الجيش الأبيض اعتمد على قادة من نفس مستوى أعضائه أنفسهم، فإنه لم يتطور أبعد من معسكرات الماشية ولا استطاع تكوين رؤية أكثر شمولا. ولم يكن الجيش الأبيض مطلقا قوة مقاتلة ثابتة ولكن بدلا من ذلك كان أفرادهم يتجمعون لفترات قصيرة من الزمن من أجل القيام بعمليات هجومية أو دفاعية، يعود بعدها أفرادهم إلى معسكرات الماشية. ورغم أن الجيش الأبيض كان يعتقد قيم الجماعة، والتي

كانت على أية حال سائدة فى المجتمع المحلى الأوسع، فإنه لم يصل إلى أبعد من حالة الميليشيا، إلا خلال أيامه الأخيرة بين قبائل «اللو نوير»، عندما كانت النتيجة دماره الشامل.

ورغم هذا، فإن قيادة الجماعة، وتنظيمها، ومحدودية رؤيتها قد أمنت أيضا استقلالا نسبيا لها. حيث كانت تدين بالولاء فقط لقيم المجتمع، ورغبة أعضائها فى الثراء والمكانة، التى كانت تحدد على نطاق واسع بمقدار ما يملكه الفرد من أسلحة وزوجات واماشية. ورغم أن بعض الأعضاء فرادى كان لديهم أيدولوجيا أوسع، وانضم بعضهم بالفعل إلى الجيش الشعبى لتحرير السودان، فإن الجيش الأبيض أقام فقط علاقات تكتيكية - ولم تكن مطلقا استراتيجية - مع الجماعات المسلحة الأخرى. وحتى عندئذ لم يكسب الجيش الأبيض إلا فوائد قصيرة الأجل. وكان الجيش الأبيض على النقيض من «ميليشيا الاستوائية» التى أقامت فى النهاية علاقات قوية مع القوات المسلحة وأصبحت عنصرا فى قوات دفاع جنوب السودان، وهى منظمة جامعة لجماعات جنوبية مسلحة كانت تنتمى فى الأصل لفصيل ناصر (Young, 2006). لذلك فقد ورثت نقاط ضعفه الهيكلية، وقد أدى الخوف العميق لدى النوير من الوقوع تحت سيطرة الجماعات الأخرى، إلى حماية الجيش الأبيض من أن يتم استيعابه فى جماعات أكبر وأكثر حركية.

لقد تحسن وضع الجيش الأبيض لأن جماعات مسلحة مختلفة تنافست على الحصول على دعمه. وكما أشرنا أعلاه، فإن فصيل ناصر التابع لريك هو الذى انشأ فى الأساس الجيش الأبيض وسيطر عليه. كذلك حاول الجيش الشعبى فى أوقات مختلفة إقامة تحالفات محلية مع الجيش الأبيض. وقد انضم فصيل ناصر إلى قوات دفاع جنوب السودان، التى أصبحت القوة المهيمنة فى شرق أعالي النيل (Young, 2003). لقد قام كل من الجيش الشعبى لتحرير السودان وقوات دفاع جنوب السودان بتوزيع الأسلحة على الجيش الأبيض، كما قام أفراد من المنخرطين فيهما ببيع أسلحتهم الشخصية مقابل المال أو بشكل أكثر شيوعا، مقابل الطعام. وهناك العديد من الحالات المعروفة لأفراد من النوير، وبدون شك من أعضاء القبائل الأخرى، التحقوا بالجماعات المسلحة من أجل الحصول على السلاح والتدريب العسكرى ثم فروا من الخدمة فى صفوف تلك الجماعات. وحيث إن تلك الأسلحة كان يتم حيازتها بشكل متزايد دون عقاب من السلطات التقليدية، فإن ذلك أضعف هذه السلطات وعزز وضع الأشخاص الذين يملكون الأسلحة بشكل شخصى ووضع أفراد الجيش الأبيض. ومع ذلك، فإن أفراد الجيش الأبيض لم يعملوا بشكل كامل خارج نطاق نفوذ المجتمع المحلى، حيث كان من الواضح تأثيرهم الشديد بالشيوخ الذين كانوا موضع احترام قبائل النوير، مثل مون دينج، الشيخ الذى عاش فى القرن التاسع عشر، وكذلك العرافون المعاصرون.⁽¹¹⁾

ولأن الجيش الأبيض لم يكن مطلقا قوة دائمة وكانت عضويته دائمة التغير، فإن تقدير عدد أعضائه ليس أمرا مفيدا. وقد أظهر عدد كبير من المقابلات الشخصية فى شرق أعالي النيل أن الجيش الأبيض

مع ذلك كان قادرا فى أوقات مختلفة على حشد عدد أكبر من الرجال المسلحين عما كان فى مقدور كل من القوات المسلحة السودانية أو الجيش الشعبى لتحرير السودان. وهو الأمر الذى جعل منه قوة مرعبة، حتى بالرغم من عدم امتلاكه أسلحة ثقيلة، أو الدعم فى مجال الإمداد والتموين، وأحيانا التدريب العسكرى.^(١٢) وفى المنافسة بين قوات دفاع جنوب السودان والجيش الشعبى لتحرير السودان على الحصول على دعم الجيش الأبيض، فازت قوات دفاع جنوب السودان لأنها قدمت أسلحة أكثر. إلا أنه بينما استطاع العديد من قادة قوات دفاع جنوب السودان مثل تشايوت فى «لونجوتشوك»، وجوردون كونج فى «ناصر»، وتشول جاجا فى «مادينج»، والقائد العسكرى لحركة تحرير جنوب السودان تيموثى تابان جوتش فى «أكوبو»، وسيمون جاتويتش فى «باى» عقد تحالفات مع الجيش الأبيض، فإنها لم تكن فى يوم من الأيام تحالفات دائمة.

وقد وقعت أكثر الأمثلة المفزعة لتصرفات الجيش الأبيض فى «مادينج»، على بعد ٦٠ كيلومترا شمال «ناصر»، وفى «أكوبو».^(١٣) وقد تم تبادل السيطرة على هاتين القريتين ست مرات على مدى العامين إلى الثلاثة أعوام السابقة على توقيع اتفاق السلام الشامل، وظهر أن الجيش الشعبى لتحرير السودان تم طرده لفترة قصيرة من «أكوبو» حتى بعد توقيع اتفاق السلام. وفى كلتا الحالتين حاولت قوات دفاع جنوب السودان والجيش الشعبى لتحرير السودان عقد صفقة للحصول على دعم الجيش الأبيض وفى كلتا الحالتين كانت التحالفات تعقد من خلال وعد الشباب المسلح بأنه سيكون بإمكانهم نهب تلك البلدات عندما يتم الاستيلاء عليها.

رابعاً السقوط والانهيار

على ما يبدو فإن سقوط وانهيار الجيش الأبيض كان نتيجة تغيرات طويلة المدى داخل مجتمع النوير وكذلك نتيجة التطورات السياسية والعسكرية قصيرة المدى، وكان من أبرزها توقيع اتفاق السلام الشامل، وإعلان جوبا،^(١٤) وحملة نزع السلاح التي قام بها الجيش الشعبي لتحرير السودان فى كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٥ واستمرت حتى آيار/ مايو ٢٠٠٦.

وكما سبقت الإشارة إليه، فإن ظهور الجيش الأبيض كان أحد عوامل تراجع السلطة التقليدية، وقد أدى ذلك إلى تصاعد مشاعر الاستياء داخل المجتمعات المحلية للنوير. فيما أطلق كبار السن من فرع «الجيكان» من قبائل النوير على طول نهر السوبات على أفراد الجيش الأبيض لقب «أبنائنا» عندما أجريت مقابلات معهم فى شباط/ فبراير ٢٠٠٦، فقد أقرّوا كذلك بأنهم ليس لديهم سيطرة على حاملي الأسلحة الشباب. كذلك فقد اشتكوا هم وغيرهم من تزايد عدم الاستقرار فى الحياة اليومية، حيث نادرا ما كان فى مقدور أحد الوقوف فى وجه الشباب المسلحين عندما يقومون بسرقة الماشية (غالباً من أجل دفع المهور)، وقتل بعضهم بعضاً وقتل شهود الصراعات البرياء، والاعتصاب كما قال الذين أجريت معهم مقابلات فى القرى الواقعة على طول النهر إنه بنهاية الحرب الأهلية فى جنوب السودان فإنه لم يعد هناك أى سبب لاستمرار بقاء الجيش الأبيض.^(١٥)

وخلال المقابلات الشخصية التي تمت فى «وات» فى وسط أعالي النيل فى ٢٠٠٢، وجد سكدسمو (Skedsmo) مواقف متعادلة بشكل كبير تجاه الجيش الأبيض:

فمن جهة فإنهم يقدرّون ما أنجزه الشباب المسلحون وشجاعتهم فى حماية مجتمعاتهم المحلية من هجمات أفراد قبائل «المورل» وقوات دفاع جنوب السودان، بينما يشكّون من جهة أخرى من السلوك العدواني والذي يخلو من الاحترام والأهوج وغير المسئول لهؤلاء الشباب (Skedsmo, 2003). وقد تبين من المقابلات الشخصية التى أجريت من أجل هذا التقرير فى منطقة «موتوت»، التى لا تبعد سوى نحو خمسة كيلومترات من «وات»، بعد ثلاثة شهور من نهاية حملة نزع السلاح التى قام بها الجيش الشعبى لتحرير السودان،^(١٦) أن هناك مشاعراً أكثر سلبية تجاه الجيش الأبيض. وكان من الأمور الصادمة كذلك الطريقة الأسوأ كثيراً التى تحدث بها أفراد فرع «لو» من قبائل النوير عن الشباب المسلحين مقارنة بنظراءهم من فرع «الجيكان» على طول نهر السوبات. فلم يذكر أحد فى منطقة «موتوت» لفظ «أبنائنا» واشتكوا بدلا من ذلك انتشار الفوضى فى ظل الجيش الأبيض. وبالفعل فقد أيد السكان حملة نزع السلاح التى قام بها الجيش الشعبى لتحرير السودان

فى المنطقه رغم أنها أدت إلى سقوط مئات القتلى من الشباب المسلحين، وخسارة معظم قطعانهم من الماشية، وترك المجتمعات المحلية فى مواجهة المجاعة حيث أدى القتال إلى الحيلولة دون زراعة المحاصيل. ولذلك فإن الضغوط الاجتماعية - وحتى الانهيار الاجتماعى - كان سببا رئيسيا لتزايد مشاعر الاستياء من الجيش الأبيض.

إن تغير المزاج العام نحو الأسلحة يسهم أيضا فى تفسير سقوط الجيش الأبيض. فبينما كتبت هوثينسون عن المكانة الكبيرة التى تحظى بها الأسلحة إبان قيامها ببحثها فى مناطق النوير فى عقد الثمانينيات من القرن العشرين، فإن سكيدسمو وجد توجهها سلبيا بشكل متزايد تجاه الأسلحة عندما قام ببحثه فى مناطق شرق أعالي النيل فى عام ٢٠٠٢. وعلى المستوى الظاهر، فإن التفسير قد يكون فى انخفاض سعر قطعة السلاح من نحو اثنتى عشرة بقرة فى عام ١٩٨١ إلى أربع أبقار فى ٢٠٠٢، إلا أن سكيدسمو يشير إلى أن ذلك لا يزال سعرا مرتفعا نسبيا بالنظر إلى النقص الحاد فى قطعان الماشية على مدى هذا الوقت (Skedsmo, 2003). ويشير ذلك إلى سبب آخر لتدهور المكانة المرتبطة بحمل الأسلحة: فإذا كانت تلك الأسلحة قد تم اقتنائها فى الأساس لحماية ماشية المجتمع المحلى، فإنها قد فشلت فى تحقيق هذا الهدف.

وقد أدت التطورات الجارية خارج المجتمع المحلى إلى تدمير الجيش الأبيض، رغم أن أعضاء ذلك الجيش لم يكن لديهم إلا إدراك محدود بها. وكان أول تلك التطورات هو توقيع اتفاق السلام الشامل فى ٩ كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٥. حيث نشأ الجيش الأبيض وتطور فى ظل ظروف الحرب. وقد أدى اتفاق السلام الشامل إلى إنهاء تلك الحرب. وعلى وجه الخصوص، فإن الترتيبات الأمنية لاتفاق السلام الشامل نصت على أن جماعتين مسلحتين فقط - هما الجيش الشعبى لتحرير السودان والقوات المسلحة السودانية - سيكون مسموحا لهما بالعمل فى جنوب السودان.^(١٧) وقد وضعت هذه الأحكام قوات دفاع جنوب السودان على الطريق لإعلان جوبا الصادر فى ٨ كانون الثانى/ يناير ٢٠٠٦ والذى تم بموجبه استيعابها فى الجيش الشعبى لتحرير السودان.^(١٨) لقد كان اختفاء قوات دفاع جنوب السودان يعنى أن الجيش الأبيض قد فقد داعمه الأساسى فى الميدان. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه مع النجاح الظاهرى لإعلان جوبا، فقد كان الجيش الشعبى لتحرير السودان تواقا إلى القضاء على الجماعات المسلحة الأخرى فى الجنوب.^(١٩) وكان يجب التعامل مع بعض الجماعات التى كانت لا تزال تحتفظ بعلاقات وثيقة مع القوات المسلحة السودانية - مثل بقايا قوات دفاع جنوب السودان، وقوات الدفاع الشعبى، وفصائل القبائل الشمالية التى انتقلت إلى الجنوب - بشكل أقل عدوانية لأن الإجراءات المتسارعة قد تؤدى إلى زعزعة عملية السلام. إلا أن الجيش الأبيض كان منظمة محلية ليس لها علاقات رسمية مع القوات المسلحة السودانية، وكان تفكيكها لن يؤدى إلى تعقيد العلاقات مع الحكومة السودانية.

لذا فقد استهدف الجيش الشعبي لتحرير السودان الجيش الأبيض من أجل القضاء عليه وكان من المفترض أن يكون ذلك من خلال نزع السلاح المدنى. لقد كان خطاب الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان فى أواخر عام ٢٠٠٥، الذى ترددت أصداؤه فى الريف، يحمل شعار «إننا نقتل أنفسنا»، فى إشارة إلى مجموعة من الصراعات الداخلية الجنوبية وعلى وجه الخصوص تلك التى انخرطت فيها قبائل «اللو نوير» فى قتال جيرانهم.^(٢٠) وحقيقة أن الجيش الأبيض من قبائل «اللو» كان على علاقة وثيقة على نحو خاص مع قوات دفاع جنوب السودان من خلال سيمون جاتويش (وهو من قبائل اللو نوير من مدينة «باي») ومسئول بارز فى الجيش الشعبى لتحرير السودان) قد تكون أيضا من الأمور التى دخلت فى الحسابان. لقد أشار جاتويش والعديد غيره من قادة قوات دفاع جنوب السودان الذين انضموا إلى الجيش الشعبى لتحرير السودان نتيجة إعلان جوبا إلى اعتقادهم بأن الانتقام من الهجوم الذى وقع عام ١٩٩١ على «البور دنكا» كان أحد دوافع ما تحول إلى حملة عنيفة للغاية لنزع سلاح المدنيين بين قبائل «اللو نوير».^(٢١)

ويمكن تفسير السهولة النسبية التى تم بها نزع سلاح بعض جماعات الدنكا بالعدد الأقل من الأسلحة التى كانت فى حوزتها ومستوى الثقة الأكبر التى كانت توليها للجيش الشعبى لتحرير السودان. إلا أن الأمر الأكثر صعوبة على التفسير هو التناقض بين الأسلوب السلمى نسبيا فى نزع سلاح قبائل «الجيكان نوير» فى المناطق الشرقية وحوادث العنف البالغ التى وقعت مع قبائل «اللو» عند نزع سلاحهم. لقد أعرب كل أفراد قبائل «الجيكان» الذين أجريت معهم مقابلات فى شباط/ فبراير ٢٠٠٦ من أجل هذا التقرير عن عدم رضاهم بشدة عن عملية نزع سلاحهم التى قام بها الجيش الشعبى لتحرير السودان لأنهم شعروا بأنها قد جعلتهم عرضة لهجمات القبائل المعادية لهم، التى لن يقدم الجيش الشعبى لتحرير السودان الحماية لهم منها. وبالإضافة إلى ذلك، فإنهم أعربوا عن تدمرهم من عدم نزع سلاح القبائل المجاورة لهم فى نفس الوقت. إلا أن معظمهم سلموا سلاحهم وهم ساخطون إلى الجيش الشعبى لتحرير السودان.

لقد كان رد فعل فروع قبائل «اللو» من الجيش الأبيض مختلفا بدرجة كبيرة. قد أرجع فريق ميثاق السودان (Pact-Sudan) الذى كان يتقصى عملية نزع السلاح فى جونجلي العنف الأكبر الذى وقع بالمنطقة إلى العزلة والافتقار إلى المعلومات بين قبائل «اللو» بشأن اتفاق السلام الشامل (Pact-Sudan, 9 May 2006). إلا أنه من المرجح أنه قد تم إبلاغ قبائل «اللو» مرارا بالبنود الأمنية لاتفاق السلام خلال فترة حملة نزع السلاح. وقبل أن تتحول حملة نزع السلاح إلى معارك كبيرة مع الجيش الشعبى لتحرير السودان، قام أحد أفراد «اللو» بقتل ويتنيونج، ثم ضابط بالجيش الشعبى لتحرير السودان وأحد شيوخ قبائل «الجاوار نوير» الذى كان فى السابق يتمتع بنفوذ كبير بين أفراد الجيش الأبيض وكان يقوم حتى بإمدادهم بالأسلحة وفقا لما ذكره فريق الميثاق. وبعد ذلك، أعلن ريك مشار حل الجيش الأبيض عقب العديد من الجهود الفاشلة لإقناع الشباب المسلح

بتسليم سلاحهم بشكل سلمى إلى الجيش الشعبى لتحرير السودان. لقد تم تجاهل كلماته مثلما كان الحال مع دعوات ويتنيونج.

لقد حارب الجيش الأبيض من قبائل «اللو» حتى النهاية، التى كانت تعنى للعديد من أعضائه الموت وتدمير قطعانهم من الماشية. وبحلول منتصف عام ٢٠٠٦ كان الاقتصاد مدمرا وكان مجتمعهم يعانى الأزمات. وبالتأكيد أوضحت تلك الحملة الأخيرة أنه من خلال الهجمات الماكرة والمفاجئة، وقدر كبير من الشجاعة، فإن شباب الجيش الأبيض قد يشكلون تحديا خطيرا على المدى القصير لجنود الجيش الشعبى لتحرير السودان. إلا أنه خلال الحرب الممتدة، فإن النظام، والتسلسل القيادى الأفضل، والتطبيق الأفضل للتكتيكات والاستراتيجية قد رحبت الحرب. وخلال آخر المعارك الكبرى فى أواخر آيار/ مايو ٢٠٠٦، أفادت مصادر محلية فى «موتو» أن الجيش الشعبى لتحرير السودان فقد جنديا واحدا مقابل ١١٣ عضوا فى الجيش الأبيض.^(٢٢) وبهذه الهزيمة، قام الشباب الذين فقدوا الاتجاه مرة أخرى بنهب مجتمعهم المحلى ذاته قبل الفرار من المنطقة.

خاتمة

إن نشأة وتطور الجيش الأبيض كانت نتاج تطورات داخلية فى مجتمع النوير وكذلك تطورات خارجية على السواء، وبشكل خاص انعكاسات الحرب الأهلية الثانية بالسودان. لقد كان شيوع الأسلحة الصغيرة أحد العوامل التى أدت إلى ظهور الجيش الأبيض وكانت حملة نزع السلاح التى قام بها الجيش الشعبى لتحرير السودان فى عام ٢٠٠٦ فى ولاية جونجلى خطوة مهمة لتحقيق الغاية المتمثلة فى القضاء على ظاهرة حمل السلاح من جانب أفراد الجيش الأبيض. وهناك اعتقاد يقترب من اليقين أنه رغم ذلك فإن نسبة ضئيلة فقط من الأسلحة تم فى الواقع مصادرتها من جانب الجيش الشعبى لتحرير السودان. وقد أدى ذلك إلى ظهور استنتاجات - يعتبرها المؤلف ذات مصداقية - بأن تدمير الجيش الأبيض، الذى تحدى ادعاء الجيش الشعبى لتحرير السودان بحقه المنفرد فى حمل السلاح، كان هو الدافع الحقيقى لحملة نزع السلاح. وفى هذا السياق، كان استيعاب أفراد «قوات دفاع جنوب السودان» فى الجيش الشعبى لتحرير السودان جزء من نفس تلك الجهود الرامية للقضاء على أى تحد عسكري لهيمنة الحركة/ الجيش الشعبى لتحرير السودان على الجنوب. وفى كلتا الحالتين حقق الجيش الشعبى لتحرير السودان نجاحا بدرجة كبيرة - على الأقل فى الأجل القصير. وقد تعهدت قيادة الجيش الشعبى لتحرير السودان بنزع السلاح من باقى المدنيين، وفى الحالة المثالية سيتم ذلك بشكل سلمى، إلا أنه إذا لم ينجح هذا الأسلوب فسيتم نزع السلاح بالقوة.

وعقب هزيمة الجيش الأبيض واستيعاب معظم أفراد «قوات دفاع جنوب السودان»، فإنه ينبغي على الجيش الشعبى لتحرير السودان الآن العمل على إدماج هذه المجموعات بشكل كامل ومرض والاستجابة إلى بواعت القلق لديهم. وفى وقت كتابة هذه السطور (أذار/ مارس ٢٠٠٧) فإن التأخير المستمر فى إدماج أفراد «قوات دفاع جنوب السودان» هو أحد بواعت القلق. فإذا بدأت عناصر «قوات دفاع جنوب السودان» فى العودة إلى معسكرات القوات المسلحة السودانية، فإن عدم الاستقرار قد يعود مجددا إلى مناطق أعالي النيل. وبالإضافة إلى ذلك، فإن الهدوء الذى يسود جنوب السودان قد دفع بالآزمات الاجتماعية داخل مجتمع «اللو» وغيرهم من القبائل بشكل متزايد إلى الواجهة. وأشد الأمور إلحاحا، أن هزيمة الجيش الأبيض قد أدت إلى تدمير الاقتصاد المحلى. وليس لدى الجيش الشعبى لتحرير السودان القدرة على علاج هذا الأمر، ولذلك فإن هذه المهمة ستقع على عاتق المجتمع الدولى.

وحتى إذا تم التعامل مع هذه الأزمة، فإن استعادة أوضاع مجتمعات «اللو» وغيرها من مجتمعات النوير، التي اضطرت بعمق، ستكون مهمة هائلة. وينبغي أن تكون إعادة تأهيل وتعليم الشباب من الأعضاء السابقين بالجيش الأبيض الذين تأثروا بالصراع ويتسم سلوكهم بالعنف، هي المهمة المركزية في هذه الجهود. إلا أنه يجب الاعتراف بحجم المشكلة ومن ثم التعامل معها بشكل شامل. ولا يُعتقد أن الحركة/ الجيش الشعبي لتحرير السودان سيكون قادرا على الاضطلاع بهذه المهمة. وليس من المرجح أن تكون عناصر رئيسية في المجتمع الدولي - وبخاصة وحدة DDR في بعثة الأمم المتحد في السودان، التي على الرغم من أنها تتمركز في الجنوب، فإنها في الغالب كانت تتنحى جانبا خلال أعمال العنف التي صاحبت حملة نزع السلاح - على دراية كاملة بحجم المشكلة، أو لديها القدرة أو الإرادة للتعامل معها بشكل فعال. كما أن هناك حاجة إلى التحرك إلى ما هو أبعد من الإرادة العسكرية للجيش الشعبي لتحرير السودان وإقامة نظم فعالة وخاضعة للمساءلة للإدارة المحلية المدنية. وعلى قدر الاعتقاد بأن الجيش الأبيض هو مشكلة أمنية فقط فإن هناك خطرا من أن تدميره سيعنى توجيه الاهتمام إلى مناطق أخرى. إن الفشل في التصدي لعدم الرضا وانتشار الفقر، والافتقار إلى الفرص المتاحة لأفراد قبائل النوير وغيرها من المجموعات التي أدت إلى ظهور الجيش الأبيض قد تؤدي إلى دورة جديدة من العنف التي كان اتفاق السلام الشامل يهدف إلى القضاء عليها.

- (١) فى ظل التقسيم الإدارى الحالى للسودان، تمثل مناطق أعالي النيل الأراضى الشرقية التى تغطى تقريبا ولايات جونجلى، وأعالى النيل، والنيل الأزرق.
- (٢) نص اتفاق السلام الشامل متاح على الموقع: <<http://www.unmis.org/English/documents/cpa-en.pdf>>.
- (٣) للاطلاع على بحث عن التحديات التى تواجه إدماج قوات دفاع جنوب السودان، انظر Young, 2006.
- (٤) أكثرهم أهمية، Hutchinson, 2006.
- (٥) انظر Young, 2006. وفى الغالب يتم تحديد بداية الحرب الأهلية الثانية فى السودان بعام ١٩٨٣.
- (٦) مقابلة للمؤلف مع اللواء كليمنت وانى، حاكم ولاية وسط الاستوائية، جوبا، ١٦ آب/ أغسطس ٢٠٠٦.
- (٧) مقابلة للمؤلف مع سيمون جاتويتش، وهو من «اللو نوير» من يابى ومسئول سابق بارز فى الجيش الشعبى لتحرير السودان، جوبا، ١٢ آب/ أغسطس ٢٠٠٦.
- (٨) مقابلة للمؤلف مع سيمون جاتويتش، جوبا، ١٢ آب/ أغسطس ٢٠٠٦.
- (٩) مقابلة للمؤلف مع سيمون جاتويتش، جوبا، ١٢ آب/ أغسطس ٢٠٠٦.
- (١٠) مقابلة للمؤلف مع أعضاء غير معروفين بالجيش الأبيض فى «ميلوت» و«ناصر»، ٢١ و ٢٤ شباط/ فبراير ٢٠٠٦.
- (١١) مقابلة للمؤلف فى مناطق النوير، شباط/ فبراير ٢٠٠٦.
- (١٢) مقابلة للمؤلف فى مناطق النوير، شباط/ فبراير ٢٠٠٦.
- (١٣) انظر <<http://www.cpmtsudan>>
- (١٤) نص إعلان جوبا متاح على الموقع: <<http://www.iss.co.za/af/profiles/sudan/darfur/jubadecljan06.pdf>>
- (١٥) مقابلة للمؤلف مع قرويين على طول مجرى نهر السوبا، ١٤ - ١٥ شباط/ فبراير ٢٠٠٦.
- (١٦) انظر «مسح الأسلحة الصغيرة ٢٠٠٦» للاطلاع على نقاش أكثر تفصيلا لحملة الجيش الشعبى لتحرير السودان لنزع السلاح فى جونجلى.
- (١٧) انظر بنود اتفاق السلام الشامل بشأن الترتيبات الأمنية، الفقرة ٧ (أ).
- (١٨) انظر Young, 2006.
- (١٩) ستعالج دراسة على وشك الصدور لمشروع التقييم الأساسى للأمن البشرى لنفس المؤلف النزاعات الحدودية الناشئة فى جنوب السودان.
- (٢٠) مع توقيع اتفاق السلام الشامل، بدأت الحركة/ الجيش الشعبى لتحرير السودان التركيز على الحاجة لنزع سلاح المدنيين تحت شعار «إننا نقتل أنفسنا».
- (٢١) مقابلة للمؤلف مع سيمون جاتويتش، جوبا، ١٢ آب/ أغسطس ٢٠٠٦. وفى ورقة سابقة عن نزع السلاح فى جونجلى لنفس المؤلف، هناك رفض للدعاء بأن الانتقام لمذبحة عام ١٩٩١ كان هو الدافع للحملة القاسية لنزع السلاح. إلا أنه لا يزال هناك احتمال أنه مع الشروع فى حملة نزع السلاح، التى واجهت مقاومة كبيرة وأدت إلى مقتل المئات من جنود الجيش الشعبى لتحرير السودان، فإن الجروح القديمة قد نوكنت وأصبح الانتقام أحد عوامل ما جرى لاحقا. انظر «مسح الأسلحة الصغيرة ٢٠٠٦» و Young, 2006.
- (٢٢) مقابلة للمؤلف مع الإدارة المحلية للحركة الشعبية لتحرير السودان، «موتوت»، ٢٥ آب/ أغسطس ٢٠٠٦.

- Evans-Pritchard, Edward. 1940. *The Nuer: A Description of the Modes of Livelihood and Political Institutions of a Nilotic People*. Oxford: Clarendon Press.
- Hutchinson, Sharon. 1996. *Nuer Dilemmas: Coping with Money, War, and the State*. Berkeley: University of California Press.
- Kelly, Raymond. 1985. *The Nuer Conquest: The Structure and Development of an Expansionist System*. Ann Arbor: University of Michigan Press.
- Pact-Sudan. 2006. April Summary Situation Report on Upper Nile. 9 May.
- Small Arms Survey. 2006. *Anatomy of civilian disarmament in Jonglei state: recent experiences and implications*. HSBA Issue Brief No. 3. Geneva: Small Arms Survey.
- Skedsmo, Arild. 2003. 'The Changing Meaning of Small Arms in Nuer Society.' *African Security Study Review*, Vol. 12, No. 4, pp. 57–68.
- Young, John. 2003. 'Sudan: Liberation Movements, Regional Armies, Ethnic Militias & Peace.' *Review of African Political Economy*, Vol. 30, No. 97, pp. 423–34.
- — . 2006. *The South Sudan Defence Forces in the Wake of the Juba Declaration*. HSBA Working Paper No. 1. Geneva: Small Arms Survey.

مطبوعات مشروع «تقييم الحد الأدنى للأمن البشرى»

١. تهديدات مستمرة: شيوع حالة من انعدام الأمن الإنسانى فى ولاية البحيرات، جنوب السودان، منذ اتفاق السلام الشامل، سبتمبر ٢٠٠٦.
٢. الجماعات المسلحة فى السودان: قوات دفاع جنوب السودان فى اعقاب اعلان جوبا، تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٦.
٣. دراسة تحليلية لنزع سلاح المدنيين بولاية جونجلى: التجارب والتداعيات الأخيرة رقم ٣ (ط٢) تشرين الثانى/ نوفمبر ٢٠٠٦ – شباط/ فبراير ٢٠٠٧.
٤. لاجوار ولا تعهدات: أخطار الآمال الأخيرة الممنوحة للدبلوماسيين بالنسبة إلى دارفور، كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٦.
٥. اتساع دائرة الحرب حول السودان: انتشار الجماعات المسلحة فى جمهورية أفريقيا الوسطى، يناير ٢٠٠٧.

أوراق عمل السودان

١. قوات دفاع جنوب السودان عشية إعلان جوبا. بقلم جون يونج.
٢. العنف واستهداف الضحايا فى جنوب السودان: ولاية البحيرات فى فترة ما بعد اتفاق السلام الشامل. بقلم ريتشارد جارفيلد.
٣. جبهة الشرق والكفاح ضد التهميش. بقلم جون يونج.

أوراق المناسبات الصادرة عن مسح الأسلحة الصغيرة

1. Re-Armament in Sierra Leone: One Year After the Lomé Peace Agreement, by Eric Berman, December 2000
2. Removing Small Arms from Society: A Review of Weapons Collection and Destruction Programmes, by Sami Faltas, Glenn McDonald, and Camilla Waszink, July 2001
3. Legal Controls on Small Arms and Light Weapons in Southeast Asia, by Katherine Kramer (with Nonviolence International Southeast Asia), July 2001
4. Shining a Light on Small Arms Exports: The Record of State Transparency, by Maria Haug, Martin Langvandlien, Lora Lumpe, and Nic Marsh (with NISAT), January 2002
5. Stray Bullets: The Impact of Small Arms Misuse in Central America, by William Godnick, with Robert Muggah and Camilla Waszink, November 2002
6. Politics from the Barrel of a Gun: Small Arms Proliferation and Conflict in the Republic of Georgia, by Spyros Demetriou, November 2002
7. Making Global Public Policy: The Case of Small Arms and Light Weapons, by Edward Laurance and Rachel Stohl, December 2002
8. Small Arms in the Pacific, by Philip Alpers and Conor Twyford, March 2003
9. Demand, Stockpiles, and Social Controls: Small Arms in Yemen, by Derek B. Miller, May 2003
10. Beyond the Kalashnikov: Small Arms Production, Exports, and Stockpiles in the Russian Federation, by Maxim Pyadushkin, with Maria Haug and Anna Matveeva, August 2003
11. In the Shadow of a Cease-fire: The Impacts of Small Arms Availability and Misuse in Sri Lanka, by Chris Smith, October 2003
12. Small Arms in Kyrgyzstan: Post-revolutionary Proliferation, by S. Neil MacFarlane and Stina Torjesen, March 2007, ISBN 28-0076-8288- (first printed as Kyrgyzstan: A Small Arms Anomaly in Central Asia?, by S. Neil MacFarlane and Stina Torjesen, February 2004) Marks A Border in Name Only: Arms Trafficking and Armed Groups at the DRC-Sudan Border 41
13. Small Arms and Light Weapons Production in Eastern, Central, and

- Southeast Europe, by Yudit Kiss, October 2004, ISBN 21-0057-8288-
14. Securing Haiti's Transition: Reviewing Human Insecurity and the Prospects for Disarmament, Demobilization, and Reintegration, by Robert Muggah, October 2005, updated, ISBN 20-0066-8288-
 15. Silencing Guns: Local Perspectives on Small Arms and Armed Violence in Rural South Pacific Islands Communities, edited by Emile LeBrun and Robert Muggah, June 2005, ISBN 24-0064-8288-
 16. Behind a Veil of Secrecy: Military Small Arms and Light Weapons Production in Western Europe, by Reinhilde Weidacher, November 2005, ISBN 22-0065-8288-
 17. Tajikistan's Road to Stability: Reduction in Small Arms Proliferation and Remaining Challenges, by Stina Torjesen, Christina Wille, and S. Neil MacFarlane, November 2005, ISBN 29-0067-8288-
 18. Demanding Attention: Addressing the Dynamics of Small Arms Demand, by David Atwood, Anne-Kathrin Glatz, and Robert Muggah, January 2006, ISBN 25-0069-8288-
 19. A Guide to the US Small Arms Market, Industry, and Exports, 1998–2004, by Tamar Gabelnick, Maria Haug, and Lora Lumpe, September 2006, ISBN 27-0071-8288-

مسح الأسلحة الصغيرة «تقارير خاصة»

1. Humanitarianism Under Threat: The Humanitarian Impact of Small Arms and Light Weapons, by Robert Muggah and Eric Berman, commissioned by the Reference Group on Small Arms of the UN Inter-Agency Standing Committee, July 2001
2. Small Arms Availability, Trade, and Impacts in the Republic of Congo, by Spyros Demetriou, Robert Muggah, and Ian Biddle, commissioned by the International Organisation for Migration and the UN Development Programme, April 2002
3. Kosovo and the Gun: A Baseline Assessment of Small Arms and Light Weapons in Kosovo, by Anna Khakee and Nicolas Florquin, commissioned by the United Nations Development Programme, June 2003
4. A Fragile Peace: Guns and Security in Post-conflict Macedonia, by Suzette R. Grillo, Wolf-Christian Paes, Hans Rissler, and Shelly O. Stoneman, commissioned by United Nations Development Programme, and copublished by the Bonn International Center for Conversion, SEESAC in Belgrade, and the Small Arms Survey, June 2004, ISBN 23-0056-8288-
5. Gun-running in Papua New Guinea: From Arrows to Assault Weapons in the Southern Highlands, by Philip Alpers, June 2005, ISBN 28-0062-8288-
6. La République Centrafricaine: Une étude de cas sur les armes légères et les conflits, by Eric G. Berman, published with financial support from UNDP, July 2006, ISBN 23-0073-8288-
7. Small Arms in Burundi: Disarming the Civilian Population in Peacetime, by Stéphanie Pézard and Nicolas Florquin, co-published with Ligue Iteka with support from UNDP–Burundi and Oxfam–NOVIB, in English and French, ISBN 26-0080-8288-

سلسلة الكتب الصادرة عن مسح الأسلحة الصغيرة

Armed and Aimless: Armed Groups, Guns, and Human Security in the ECOWAS

Region, edited by Nicolas Florquin and Eric G. Berman, May 2005, ISBN 26-0063-8288-

Armés mais désœuvrés: Groupes armés, armes légères et sécurité humaine dans la

région de la CEDEAO, edited by Nicolas Florquin and Eric Berman, co-published

with GRIP, March 2006, ISBN 29-023-87291-

Targeting Ammunition: A Primer, edited by Stéphanie Pézard and Holger Anders, co-published with CICS, GRIP, SEESAC, and Viva Rio, June 2006,

ISBN 25-0072-8288-

No Refuge: The Crisis of Refugee Militarization in Africa, edited by Robert Muggah,

co-published with BICC, published by Zed Books, July 2006, ISBN 1-0-789-84277